الجزء الاول

في الخلافة والوزارة
وما ينضاف الى ذلك
وفيه سبعة أبواب

الباب الأول
في ذكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفيه ثمانية فصول

الفصل الأول
في ذكر اسمه وكنيته ونسبه

هو، رضي الله تعالى عنه ورحمه، عبدالله بن أَبي قُحافة أَبو بكر الصديق، وكان اسمُه في الجاهلية: عبدَالكعبة، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدَاللّهِ. واسم أَبي قحافة عثمان بنُ عامرِ بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مُرَّة بن كعب بن لُؤي بن غالب بن فهر بن مالك القرشي التَّيْمِيّ. وسُمِّيَ الصديق لِبَداره إِلى تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ما جاء به، وقيل لتصديقه له في خبر الإِسراء. وكان يقال له «عَتيق» لجماله وعَتاقة وجهه، وقيل لِأنه لم يكن في نسبه شيءٌ يعاب به، وقيل: كان له أَخ يسمى عتيقاً فمات فسمي به، وقيل بل رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلاً فقال: مَنْ سَرَّهُ أَن ينظرَ إِلى عتيقٍ من النارِ فلينظر إِلى هذا. ذكر جميعَ ذلك أَبو عمر ابن عبدالبر رحمه الله تعالى في كتاب «الاستيعاب» في أَسماء الصحابة رضوان الله تعالى عليهم وأَخبارهم (٩٦٣).

فوائد لغوية في ثلاث مسائل:

الأُولى: في «المحكم» (٣:١٣) لابن سيده: سيل قُحافٌ: [كثير] يذهب بكل شيءٍ، وكلُّ ما اقْتُحِفَ من شيء فهو قُحافة. وفي «الاشتقاق» لابن سيِّد[1]:

---

(١) محمد بن أبان بن سيد اللخمي أبو عبدالله القرطبي عالم بالعربية أخذ عن القالي وتولى الشرطة للحكم المستنصر وتوفي سنة ٣٥٤ (ابن الفرضي ٢:٦٩ وجذوة المقتبس: ٣٨١ وبغية الوعاة ١:٧).

القُحافة: كلُّ شيءٍ قحفته من إناء أَو غيره فأَخذته بأَجمعه، ويقال اقتحفتُ الريقَ إذا مصصته. انتهى. وقال ابن طريف[1]: قَحَفَ الإناء: استوعب ما فيه.

الثانية: في «ديوان الأَدب» (٤:١٤٥) لأي بفتح اللام وسكون الهمزة من أَسماء الرجال.

وأَنشد المبرد في «الكامل» (٢:١٨٦) للحطيئة: [من الطويل]

أَتَتْ آل شَمَّاسِ بن لأيٍ وإنما أَتاهُمْ بها الأَحلامُ والحسبُ العِدُّ[2]

قال الجوهري في «الصحاح» (٦:٢٤٧٨): وتصغيره لُؤَيّ، ومنه لؤي بن غالب.

الثالثة: في «الصحاح» (٤:١٥٢٠) العِتق: الكرم، يُقال: ما أَبيَن العتقَ في وجه فلان، يعني الكرم، والعتيق الكريم من كلِّ شيء، والعتق الجمال، وكان يقال لِأبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه: عتيق، لجماله.

الفصل الثاني
في ذكر اليوم الذي بويع له فيه

لم يُخْتَلَفْ أَنه بُويعَ له رضي الله تعالى عنه في اليوم الذي تُوُفِّيَ فيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، واختلف في اليوم الذي توفي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم كم كان من الشهر، بعد اتفاقهم على أَنه يوم الإثنين في شهر ربيع الأَول سنة إحدى عشرة من الهجرة، فقيل لاثنتي عشرةَ مَضَتْ من ربيع الأَول. قال ابن

---

(١) عبدالملك بن طريف اللغوي الأندلسي أبو مروان القرطبي، له كتاب في الأفعال هذب فيه كتاب شيخه ابن القوطية في الموضوع نفسه، وتوفي نحو الأربعمائة (ترجمته في الصلة: ٣٤٠ وإنباه الرواة ٢:٢٠٨ وبغية الوعاة ٢:١١١).

(٢) ديوان الحطيئة: ١٤٠ والضمير في «أتت» يعود إلى القصيدة، وهي قصيدة نكَّبها عن معاشر لم يستحقوها، فذهبت إلى آل شماس، بسبب ما لديهم من أحلام وحسب تالد؛ وقيل بل الضمير يرجع إلى الناقة، والقول الأول أولى وأرجح.

جماعة[1] في «مختصر السير»: وهو المرجح عند الجمهور، ولم يصحِّحهُ السهيليّ[2] ولا أبو الربيع ابن سالم[3]. انتهى. وقيل غرة شهر ربيع الأول، وقيل الثاني منه، وإلى هذين القولين مال أبو الربيع ابن سالم في كتابه «الاكتفاء في أخبار الخلفاء».

فائدة لغوية:

في «المحكم» (٢: ١٨٩) البَيْعَة: المتابعةُ على الأمرِ والطاعة[4]، وقد تبايعوا على الأمرِ، وبايَعه عليه مُبَايعة [عاهده]. وفي «المشارق» (١: ١٠٧) بيعةُ الأمراء ـ بفتح الباء ـ وأصله من البيع لِأنهم إذا بايعوه وعقدوا عهده وحلفوا له جعلوا أيديهم في يده توكيداً كالبائع والمشتري.

الفصل الثالث
في ذكر بيعته الخاصة رضي الله تعالى عنه

في كتاب «السيرة» (٢: ٦٥٥ـ٦٦٠) لابن إسحاق: لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: إنَّ رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تُوفي، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم والله

---

(١) ابن جماعة: هو محمد بن إبراهيم بن سعدالله بن جماعة الكناني الحموي بدرالدين، تولى الخطابة بالقدس والقضاء بمصر وفيها توفي سنة ٧٣٣، وله عدة مؤلفات منها مختصر للسيرة النبوية (ترجمته في الوافي ٢: ١٨ والفوات ٣: ٢٩٧ ونكت الهميان: ٢٣٥ والدرر الكامنة ٣: ٣٦٧ وفي حاشية الفوات ذكر لمصادر أخرى).

(٢) عبدالرحمن بن عبدالله السهيلي أبو القاسم وأبو زيد كان عالماً باللغة والسير، وتوفي سنة ٥٨١ وهو صاحب الروض الأُنف في شرح السيرة (انظر ترجمته في وفيات الأعيان ٣: ١٤٣ وفي الحاشية ذكر لكثير من مصادر ترجمته).

(٣) سليمان بن موسى بن سالم أبو الربيع الحميري الكلاعي البلنسي، استشهد مقبلاً غير مدبر في الكائنة على أنيشة سنة ٦٣٤، وهو من كبار محدثي الأندلس ومؤرخيها وكتابه الذي يعتمده الخزاعي اسمه «كتاب الاكتفا بما تضمنه من مغازي الرسول ومغازي الثلاثة الخلفا» وصف بأنه في أربعة مجلدات متوسطة (انظر ترجمته في التكملة رقم: ١٩٩١ والذيل والتكملة ٤: ٨٣ وبرنامج الرعيني: ٦٦ والمقتضب من تحفة القادم: ٨٣ وفي حاشية الذيل والتكملة ذكر لعدد آخر من المصادر).

(٤) المحكم: المتابعة والطاعة.

ما مات، ولكنّه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران. فقد غاب عن قومه أربعين ليلةً ثم رجع إليهم بعد أن قيل قد مات، ووالله ليرجعنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رجع موسى فلتُقْطَعن[1] أيْدِي رِجالٍ وأرجُلُهم زَعمُوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات.

وروى محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله في «صحيحه» (٦:١٧) عن أبي سلمة أن عائشة زوجَ النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته قالت: أقبل أبو بكر على فرسِه من مسكنه بالسُّنْح[2]، حتى نزل فدخل المسجد، فلم يكلّم الناسَ حتى دخل على عائشة، فتَيَمَّمَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم وهو مُسجَّى ببُرد حِبَرة[3]، فكشف عن وجهه، ثم أكبَّ عليه فقبَّله ثم بكى، فقال[4]: بأبي أنت يا نبيَّ اللّهِ، لا يجمعُ الله عليك موتتين أبداً، أما الموتةُ التي كُتِبَتْ عليك فقد مُتَّها.

قال أبو سلمة (السيرة ٢:٦٥٥): فأخبرني[5] ابن عباس: أن أبا بكر خرج وعمر يكلم الناس فقال: اجلس يا عمر، فأبى عمر أن يجلس، فتشهد أبو بكر، فمال إليه الناس وتركوا عمرَ، فقال: أما بعد مَنْ كان يعبدُ محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبدُ الله فإن الله حيٌّ لا يموت، قال الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٤) قال: والله لكأنَّ الناس لم يكونوا يعلمون أن الله أنزلها حتى تلاها أبو بكر، فتلقَّاها منه الناس فما يُسمع بشرٌ إلا وهو يتلوها.

قال ابن إسحاق (٢:٦٥٦): ولما قُبِضَ رسول الله صلى الله عليه وسلم انحاز

---

(١) السيرة: فليقطعنَّ.

(٢) السُّنْح: في طرف من أطراف المدينة، كان بها منزل أبي بكر الصديق حين تزوج مليكة وقيل حبيبة بنت خارجة الأنصارية.

(٣) البخاري: وهو مغشى بثوب حبرة.

(٤) البخاري: وبكى ثم قال.

(٥) قارن أيضاً بالبخاري ٦:١٧.

هذا الحيُّ من الأَنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة، واعتزل علي بن أَبي طالب والزبير بن العوام وطلحة بن عبيدالله في بيت فاطمة، وانحاز بقية المهاجرين إلى أَبي بكر، وانحاز معهم أُسَيْدُ بن حضَيْر في بني عبدالأَشهل. فأَتى آت أَبا بكر وعمرَ فقال: إِنّ هذا الحيّ من الأَنصار مع سعد بن عُبادة في سقيفة بني ساعدة قد انحازوا إِليه، فإِن كان لكم بأَمرِ الناس حاجةٌ فأَدركوا الناسَ قبل أَن يتفاقم أَمرُهم، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته لم يُفرغ من أَمره، قد أَغلق دونه البابَ أَهلُهُ؛ قال عمر: فقلتُ لِأبي بكر: انطلق بنا إِلى إِخواننا هؤلاءِ من الأَنصار حتى ننظرَ ما هم عليه، فانطلقنا نَؤُمُّهُمْ حتى لقِينَا منهم رجلان صالحان، فذكرا لنا ما تمالأَ عليه القومُ وقالا: أَين تريدون يا معشر المهاجرين؟ [قلنا: نريد إِخواننا هؤلاء من الأَنصار، قالا: فلا عليكم أَن لا تقربوهم يا معشر المهاجرين][1] اقضوا أَمركم، قال، قلت: والله لنأْتينهم. فانطلقنا حتى أَتيناهم في سقيفة بني ساعدة، فإِذا بين ظَهْرَانَيْهم رجل مُزَمَّل، فقلتُ: من هذا؟ فقالوا: سعد بن عبادة، فقلت: ما له؟ فقالوا: وَجِعٌ. فلما جلسنا تشهَّدَ خطيبهم فأَثنى على الله بما هو أَهله[2] ثم قال: أَما بعد فنحن أَنصارُ الله وكتيبةُ الإِسلام، وأَنتم يا معشرَ المهاجرين رهطٌ منا، وقد دَفَّت دَافَّةٌ من قومكم قال: وإِذا هم يريدون أَن يحتازونا من أَصلنا ويغصِبُونا الأَمرَ، فلما سكتَ أَردتُ أَن أَتكلم وقد زَوَّرْتُ مقالةً في نفسي قد أَعجبتني أُريدُ أَن أُقَدِّمَها بين يدي أَبي بكر، وكنت أُداري منه بعضَ الحَدِّ. فقال أَبو بكر: على رِسْلِكَ يا عمرُ، فكَرِهتُ أَن أُغضبه، فتكلم وهو كان أَعلمَ مني وأَوقرَ، فوالله ما ترك من كلمةٍ أَعجبتني من تزويري إِلا قالها في بديهته أَو مثلَها أَو أَفضلَ منها حتى سكتَ. قال: أَما ما ذكرتُم فيكم من خير فأَنتم له أَهلٌ، ولن تعرفَ العربُ هذا الأَمر إِلا لهذا الحيِّ من قريش، أَوسطِ[3] العرب نسباً وداراً، قد رضيتُ لكم أَحَدَ هذين الرجلين فبايعوا أَيهما شئتم، وأَخذ بيدي وبيد أَبي عبيدة بن الجراح، وهو جالس بيننا،

(١) ما بين معقفين زيادة من السيرة.

(٢) السيرة: بما هو له أهل.

(٣) السيرة: هم أوسط.

ولم أكره شيئاً مما قال غيرَها، كان والله أن أُقَدَّم فَتُضْرَبَ عنقي لا يقرّبني ذلك من إثم أحبَّ إليَّ من أن أتأمَّر على قومٍ فيهم أبو بكر، قال: فقال قائل من الأنصار: أنا جُذَيلُها المُحَكَّك، وعُذَيقُها المُرجَّب، منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش، قال: فكثر اللغط، وارتفعت الأصوات حتى تَخوفتُ الاختلافَ، فقلتُ: ابسط يدك يا أبا بكر، فبسط يده فبايعته، وبايعه المهاجرون، ثم بايعه الأنصار، ونزونا على سعد بن عبادة، فقال قائل منهم: قتلتم سعد بن عبادة، قال: فقلت: قتل الله سعدَ بن عبادة.

فوائد لغوية في ثماني مسائل:

الأولى: في «الصحاح» (٦:٢٣٧٢) سجَّيتُ الميتَ تَسجِيَةً: إذا مددتَ عليه ثوباً، وفي «المشرع الروي»: سجَّى: غطَّى وستر من قولهم: سجَى الليلُ إذا غطَّى النهارَ بظلمته.

الثانية: في «المشارق» (١:١٧٥) البُرْدُ المُحَبَّر: المزيَّن الملون، ومنه حُلَّةٌ حِبَرة، وبُرْد حِبَرَة.

الثالثة: أُسَيْد بن حُضَيْر: بضم الهمزة والحاء على التصغير فيهما؛ كذلك في «المشارق» (١:٦٠).

الرابعة: في «الصحاح» (١:٧٣) أبو زيد: مالأته على الأمر ممالأة: ساعدته عليه وشايعته. ابن السِّكِّيت: تمالأوا على الأمر: اجتمعوا عليه، والملأ: الجماعة.

الخامسة: في «الصحاح» (٢:٧٣١) يقال: هو نازلٌ بين ظَهْرَيهم، وظهرانَيْهم بفتح النون، ولا تقل: ظهرانِيهِم بكسرها، وزاد في «المحكم»: وبين أظهرهم.

السادسة: في «الغَريبين» الدافَّة: القوم يسيرون جماعة بالتشديد، يقال: يَدِفُّون دفيفاً. وفي «الأفعال» لابن طريف: دفَّت دافَّة من الناس يقال ذلك للجماعة تُقْبِلُ من بلد إلى بلد.

السابعة: زوَّرت مقالة: في «الغريبين» أي أصلحت وهيَّأت، والتزوير:

إصلاح الشيء، وكلُّ شيءٍ كان صلاحاً لشيء فهو زواره وزياره، ومنه: زِيار الدابة. وفي «المحكم» كلام مزور وهو المُثَقَّف قبل أن يُتكلم به، ومنه قول عمر: ما زوَّرتُ كلاما لأقوله إلا سبقني به أبو بكر. قال نصر بن سيار: [من الطويل]

أَبلغْ أَميرَ المؤمنين رسالةً تَزَوَّرْتُها من مُحْكَماتِ الرسائل[1]

الثامنة: في «الغريبين» قال الأصمعي: الجذيل تصغير جِذل أو جَذْل: لغتان، وهو العودُ يُنْصَبُ للجربى فتحتكّ به. والعُذَيق: تصغيرُ عَذق ـ بفتح العين ـ وهو النخلة. والمُرَجَّب: قال أبو عبيدة والأصمعي: هو من الرُّجبة، وهو أن تُعمَد النخلة الكريمة إذا خيف عليها لطولها وكثرة حملها ببناءٍ من حجارة أو بخشبةٍ ذات شُعْبَتين، ويكون ترجيبها أيضاً أن يُجعلَ حولها شَوكٌ فلا يَرْقَى إليها راقٍ. يقول: أنا ممن يُسْتَشْفَى برأيه كما استَشْفَتْ الإبل الجربى بالاحتكاك بهذا العود من جربها.

وفي «المشارق» (١: ٢٨٢) شبه نفسه بالعَذْقِ المُرَجَّبِ لما عنده من قوم يمنعونه ويحمونه، وعشيرةٍ تَشُدُّه وتَرْفِدُه، وتصغيرهما ليس على طريق التحقير، بل للمدح كما قيل: فريخ قريش، وقيل للتعظيم.

تنبيه:

قول الأصمعي: الجُذَيْل تصغير جِذل أو جَذْل، يريد بكسر الجيم أو فتحها.

قال القاضي في «المشارق» (١: ١٤٣) جِذْل الشجرة بكسر الجيم وفتحها: أصلها القائم.

الفصل الرابع
في ذكر بيعته العامة رضي الله تعالى عنه ورحمه

قال ابن إسحاق رحمه الله تعالى في «السير» (٢: ٦٦٠) ولما بويع لأبي بكر في السقيفة، وكان الغد، جلس أبو بكر على المنبر، فقام عمر: فتكلم قبل أبي بكر،

---

(١) ورد بيت نصر في اللسان (زور)؛ وفي طبعة تونس: ألا أبلغ؛ وسقطت «ألا» من المخطوطات.

فحمد الله وأثنى عليه بما هو له أهل ثم قال: أيها الناس إني كنت قلتُ لكم بالأمسِ مقالةً ما وجدتها[1] في كتاب الله، ولا كانت عهداً عهده إليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكني كنت أرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدبر أمرنا ـ يقول: يكون آخرنا ـ وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذي به هَدَى رسوله، فإن اعتصمتم به هداكم لما كان هداه له، وإنَّ الله قد أجمع لكم أمركم على خيركم: صاحبِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثاني اثنين إذ هما في الغار، فقوموا فبايعوه، فبايع الناسُ أبا بكر بيعة العامة بعد بيعة السقيفة.

(٢: ٦٦١) ثم تكلم أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه بالذي هو أهله ثم قال: أما بعد أيها الناس فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنتُ فأعينوني، وإن أسأْت فقوِّموني، الصدقُ أمانة، والكذبُ خيانة، والضعيفُ فيكم قويٌّ عندي حتى أريح عليه حقه، إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحقَّ منه، إن شاء الله. لا يدعُ قومٌ الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذلّ، ولا تشيعُ الفاحشةُ في قوم إلا عمَّهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعتُ الله ورسوله، فإذا عصيتُ الله ورسوله فلا طاعةَ لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله.

قال أبو عمر ابن عبدالبر في «الاستيعاب» (٩٧٦) قال ابن أبي عزة القرشي الجمحي[2]: [من الكامل]

شكراً لمن هو بالثناءِ خليقُ ... ذهبَ اللِّجاجُ وبويع الصِّديقُ
من بعد ما دَحَضَت بسعدٍ نَعْلُهُ ... ورجا رجاءً دونه العَيُّوق
جاءت به الأنصارُ عاصبَ رأْسه ... فأتاهم الصديقُ والفاروق

---

(١) السيرة: ما كانت مما وجدتها.

(٢) أبو عزة الجمحي اسمه عمرو بن عبدالله، كان شاعراً أسر يوم بدر ومنَّ عليه الرسول فأطلقه، ثم أسر فيما قيل يوم أحد، فقتله الرسول وقال: لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين (طبقات ابن سلام: ٢٥٣ ـ ٢٥٧) وقيل: ما أسر يوم أحد هو ولا غيره، كان المسلمون يومئذ في شغل عن الأسر؛ والإشكال في قول ابن عبدالبر بن أبي عزة، إذ يقول ابن حزم في الجمهرة: ١٦٢ «ولا عقب لأبي عزة».

وأبـو عبيـدة والـذين إليـهمُ نفسُ المؤمِّـل للبقـاءِ تتـوق
فدعت قريشٌ باسمه فـأجابهـا إن المنـوَّهَ بـاسمـه المـوثـوق

فوائد لغوية في ثلاث مسائل:

الأُولى: في «الـديـوان» (٢:٣٠٩) أَجمعتُ الشيء جعلتَـه جميعـاً. وفي «الصحاح» (٣:١١٩٩): قال الكسائي: أَجمعتُ الأَمرَ وعلى الأَمر: إِذا عزمتَ عليه، والأَمر مُجمَعٌ، وقال أَيضاً: أَجْمِعْ أمرك ولا تدعْهُ منتشراً. قال الشاعر:[من الطويل]

تُهِلُّ وتَسْعَى بالمصابيح وَسْطَها لها أَمرُ حَزْمٍ لا يُفَرَّقُ مُجْمَعُ[1]

الثانية: في «المحكم» (٤:٣٩١): إنك لخليقٌ بذلـك، أَي جديـر. وفي «المشارق» (١:١٤١) هو جدير بكذا: أَي حقيق به.

الثالثة: في «الصحاح» (٣:١٠٧٥) مكان دحْض ودَحَض أَيضاً بالتحريك: زَلِقٌ، ودحَضَتْ رجلُه تدحضُ دَحْضاً. قلتُ: وهذا مثل يُضْرَبُ لكلِّ من أَخطأَ الصوابَ، فيقال: زَلِقَتْ قدمُه وزلَّتْ نعله. قال زهير، أَنشده الأَعلم في «أشعار الستة»: [من الطويل]

تداركتما الأَحلافَ قد ثُلَّ عرشُها وذبيانَ قد زَلَّتْ بأَقدامها النعلُ[2]

الفصل الخامس
في ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
مما يُحْتَجُّ به على صَـحَّةِ استخلافه وصحة إمامته رضي الله عنه

قال الحافظ أَبو عمر ابن عبدالبر في «الاستيعاب» (٩٦٩) رحمه الله تعالى: استخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم في أُمته على من بعده بما أَظهر من الدلائل البينة على محبته في ذلك، وبالتعـريـض الذي يقوم مقام التصريح،

---

(١) الشاعر هو أبو الحسحاس كما في اللسان والتاج (جمع).

(٢) شرح ديوان زهير: ١٠٩ والأحلاف: عبس وفزارة، وثل عرشها: أصابها ما كسرها وهدمها؛ واللذان تداركا الأحلاف هما هرم بن سنان والحارث بن عوف.

ولم يُصرِّحْ بذلك لِأنه لم يؤمر فيه بشيء، وكان لا يصنعُ شيئاً في دين الله إلا بوحي، والخلافةُ ركنٌ من أركان الدين. ومن الدليل الواضح[1] على ما قلناه ما حدَّثَناه سعيد بن نصر وعبدالوارث بن سفيان، وذكر حديث محمد بن جبير بن مُطْعِم الذي خرَّجه مسلم (٢: ٢٣١) رحمه الله تعالى والنص لمسلم عن محمد بن جبير بن مُطْعِم عن أَبيه: أَن امرأَةً سأَلت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم شيئاً فأَمرها أَن ترجع إِليه، فقالت: يا رسولَ الله فإِن لم أَجدْك[2]؟ ـ قال أَبي: كأَنها تعني الموت ـ قال: فإِن لم تجديني فأْتي أَبا بكر.

قال أَبو عمر ابن عبدالبر: في هذا الحديث دليل على أَن الخليفة أَبو بكر.

وقال القاضي أَبو الفضل عياض في «الاكمال»، رحمه الله تعالى: فيه من الحجة صحةُ إِمامة أَبي بكر رضي الله تعالى عنه، وأَن النبي عليه السلام أَخبر أَنه سيكون إِماماً بعده، ولو لم يكن لها أَهلاً لما أَمر بالمجيء إِليه. انتهى.

وقوله في الحديث «قال أَبي» قال القاضي: قال هذا عن أَبيه محمد بن جبير. انتهى.

وذكر الحافظ أَبو عمر أَيضاً في «الاستيعاب» (٩٦٩) الحديث الذي يرويه الزُّهريُّ بسنده عن عبدالله[3] بن زَمْعة بن الأَسود قال: كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عليلٌ، فدعاه بلال إِلى الصلاة فقال لنا: مروا من يصلي بالناس. قال: فخرجت فإِذا عمر في الناس، وكان أَبو بكر غائباً، فقلتُ: قُمْ فصلِّ بالناس، فقام عمر، فلما كبَّر سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته وكان عمر مُجْهِراً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فأَين أَبو بكر؟ يأْبى الله ذلك والمسلمون، فبعثت إِلى أَبي بكر فجاء بعد أَن صلَّى عمر تلك الصلاة، فصلَّى بالناس طوال علته حتى مات، صلى الله عليه وسلم.

---

(١) الاستيعاب: الدلائل الواضحة.

(٢) مسلم: أرأيت إن جئت فلم أجدك.

(٣) م ط: عبدالرحمن، وأثبت ما في الاستيعاب.

وروى أَبو عمر (٩٧٠) أَيضاً عن عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه أَنه قال: كان رجوع الأَنصار يوم سقيفة بني ساعدة بكلام قاله عمر بن الخطاب رضي الله عنه[1]: نشدْتكُمُ الله هل تعلمون أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أَمر أَبا بكر أَن يصلي بالناس؟ قالوا: اللهم نعم، قال: فأَيكم تطيبُ نفسه أَن يزيله عن مقامٍ أَقامه فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالوا: كلنا لا تطيبُ نفسه، ونستغفرُ اللّهَ.

وذكر أَبو عمر (٩٧١) أَيضاً الحديثَ الذي يرويه الحسنُ البصري عن قيس بن عُبادة قال: قال لي علي بن أَبي طالب: إِن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرض ليالي وأَياماً، يُنادَى للصلاة فيقولُ: مروا أَبا بكر يصلي بالناس، فلما قُبضَ رسول الله صلى الله عليه وسلم نظرتُ فإِذا الصلاةُ علم الإِسلام، وقِوام الدين، فرضينا لدنيانا من رضي رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا، فبايعنا أَبا بكر. انتهى.

فائدتان لغويتان:

الأُولى: في «الصحاح» (٢:٦١٨) جَهَر بالقول: رفع به صوته، نقول منه: جَهُرَ الرجل بالضم، وإِجهار الكلام: إِعلانه، ورجل مِجْهَر بكسر الميم: إِذا كان من عادته أَن يجهر بكلامه، وقال ابن طريف: جهرتُ بالكلام وأَجهرتُ.

الثانية: في «الصحاح» (٥:٢١٧) قِوام الأَمر بالكسر: نظامُهُ وعماده، وقِوامُ الأَمر أَيضاً: مِلاكُه الذي يقوم به، وقد يفتح.

الفصل السادس
في ذكر نبذ من أَخباره ومناقبه، رضي الله تعالى عنه

قال أَبو عمر ابن عبدالبر في «الاستيعاب» (٩٦٣): لا يختلفون أَنه، رضي الله عنه، شهد بدراً بعد مهاجرته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إِلى المدينة، وأَنه لم يكن رفيقه من الصحابة غيره، وهو كان مؤنسَهُ في الغار إِلى أَن خرج معه مُهاجِرَيْنِ، وهو أَول من أَسلم من الرجال في قول طائفة من أَهل العلم

(١) كان رجوع... عنه: سقط من م.

بالسير والخبر، وأول من صدَّق رسول الله صلى الله عليه وسلم في قول أُولئك.

وقال الشعبي: سألت ابن عباس، أو سئل أيّ الناسِ كان أولَ إسلاماً؟ فقال: أما سمعت قول حسان[1]: [من البسيط]

إذا تذكرتَ شجواً من أخي ثقةٍ ... فاذكرْ أخاك أبا بكرٍ بما فعلا

خيرَ البرية أتقاها وأعدلها ... بعد النبيِّ وأوفاها بما حملا

والثانيَ التاليَ المحمودَ مشهدُهُ ... وأول الناسِ منهم صدَّقَ الرسلا

وروى مسلم رحمه الله تعالى في «صحيحه» (٢: ٢٣٠) عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن أَمَنَّ الناسِ عليَّ في ماله وصحبته أبو بكر، ولو كنتُ متخذاً خليلاً لاتَّخذتُ أبا بكر خليلاً، ولكن أُخُوَّةُ الإسلام، لا تَبْقَيَنَّ في المسجد خَوخَةٌ إلا خَوْخةَ أبي بكر.

وروى أيضاً (٢: ٢٣١) رحمه الله تعالى عن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه على جيش ذات السلاسل، فأتيته فقلت: أي الناس أحبُّ إليك؟ قال: عائشة، قلت: مِنَ الرجال؟ قال: أبوها، قلت: ثم مَنْ؟ قال: عمر فعدد رجالاً. انتهى.

وفضائله، رضي الله تعالى عنه، أكثر من أن تُحْصَى.

فائدة لغوية:

قول حسان في الصديق رضي الله تعالى عنهما: «وأول الناس منهم صدق الرسلا» في «المخصص» (١٣: ٢٣٤ ـ ٢٣٥) لابن سيده في باب ما جاء مجموعاً وإنما هو واحد في الأصل، قال الأصمعي: يقال: ألقاه في لهوات الليث، وإنما له لهاة واحدة، وكذلك: وقع في لهوات الليث؛ وقال العجاج: [من الرجز]

* عُوداً دُوَيْنَ اللهَواتِ مُولَجا[2] *

---

(١) ديوان حسان ١: ١٢٥ والبيان والتبيين ٣: ٣٦١ وعيون الأخبار ٢: ١٥١ والعقد ٣: ٢٨٤.

(٢) ديوان العجاج ٢: ٣٣ وقبله: «كأن في فيه إذا ما شحجا» يصف حمار الوحش إذا نهق فيقول كأن في فمه عوداً، يريد سعة شدقه.

وقال الأسود[1]: [من الكامل]

فلقد أَرُوحُ إلى التِّجارِ مُرَجَّلاً مَـذِلاً بمـالي لَيِّنـاً أَجْيَـادِي

وقال غيره: [من البسيط]

* تَـمُـدُّ لـلمـشـي أوصـالاً وأصـلابـا *

يعني: ناقة، وإنما لها صلب واحد.

الفصل السابع
في ذكر وفاته وقدر مدته رضي الله تعالى عنه

في «الاستيعاب» (٩٧٧): مكث في خلافته سنتين وثلاثة أَشهر إلا خَمْس ليال، وقيل سنتين وثلاثة أَشهر وسبع ليال، وقيل عشرة أَيام، وقيل واثنتي عشرة ليلة. واختلف في حين وفاته: فقيل هو يوم الجمعة لتسع ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة، وقيل يوم الإثنين، وقيل ليلة الثلاثاء، وقيل عشي يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة.

واختلف في السبب الذي مات منه: فذكر الواقدي أَنه اغتسل في يوم بارد فحُمَّ، ومرض خمسة عشر يوماً، وقال الزبير بن بكار: كان به طَرَفٌ من السلّ، وقال سلام بن أَبي مطيع: إنه سم. انتهى.

وقال أَبو الفرج الجوزي في «الصفوة» (١: ١٠٠) عن ابن شهاب إن أَبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه والحارث بن كَلَدَة كانا يأْكلان خَزِيرةً أُهدِيَتْ لِأبي بكر رضي الله تعالى عنه فقال الحارث لأبي بكر: ارفع يدكَ يا خليفةَ رسول الله، والله إن فيها لسمَّ سنة، وأَنا وأَنت نموتُ في يوم واحد، فرفع يده فما زالا عليلين حتى ماتا في يوم واحد عند انقضاء السنة.

فوائد لغوية في ثلاث مسائل:

الأُولى: «في تفسير الألفاظ الطبية» (١١٥) لابن الحشّا: السُّلُّ في اللغة:

---

(١) هو الأسود بن يعفر النهشلي، شاعر جاهلي، والبيت من قصيدته المفضلية.

ذبولُ البدنِ وذهابُ لحمه عن أَي سبب كان، وفي اصطلاح الأَطباء اسمٌ لقرحةِ الرئة، ويتبعها لا محالةَ ذبول البدن.

الثانية: حكى ابن السِّيد في «المثلث» عن الطوسي في السم ثلاث لغات: ضم السين وفتحها وكسرها.

الثالثة: في «ديوان الأَدب» (١: ٤٢٩): الخَزِيرَةُ: أَن يُنْصَبَ القدرُ بلحمٍ يُقَطَّعُ صغاراً على ماء كثيرٍ فإذا نضج ذُرَّ عليه الدقيق، فإذا لم يكن فيها لحمٌ فهي عصيدة.

الفصل الثامن
في معنى الخليفة، وأَول خليفة كان في الإسلام، ومعنى الأمير، وأَول من تسمَّى بأَمير المؤمنين، وبأَمير المسلمين

وفيه خمس مسائل:

المسأَلة الأُولى في معنى الخليفة: في «تفسير القرآن»[1] (١: ٢٥٧) شرفه الله تعالى للفخر ابن الخطيب رحمه الله تعالى: الخليفة من يخلُفُ غَيْرَه ويقومُ مَقَامه.

وفي «ديوان الأَدب» (٢: ١١٩) للفارابي: خلَفه يخلُفه ـ بفتح اللام في الماضي وضمّها في المستقبل.

وفي «صناعة الكتابة» لابن النحاس: وعلى هذا خوطب الصديق رضي الله تعالى عنه فقيل له: يا خليفة رسول الله. انتهى.

وفي «اختصار الزجاجي لزاهر ابن الأَنباري»[2]: الأَصل في الخليفة: خليفٌ بغير هاء، فدخلت الهاءُ للمبالغة في مدحه بهذا الوصف كعلاَّمة ونسَّابة وراوية وما أَشبه ذلك. انتهى.

---

(١) يعني تفسير الفخر الرازي المسمى «مفاتيح الغيب».

(٢) النص في الزاهر نفسه ٢: ٢٤١.

وجمع الخليفة في «الصحاح» (٤:١٣٥٦) للجوهري: الخلائف على الأَصل، مثل كريمة وكرائم، والخلفاءُ على تقدير إسقاط الهاء من أَجل أَنه لا يقع إلا لمذكر، فصار مثل ظَريفٍ وظُرفاء لأن فعيلة بالهاء لا تُجْمَعُ على فُعلاء.

وفي «المحكم» (٥:١٢١) الخلفاء جمع الخليف بمعنى الخليفة، ولم يعرفه سيبويه، وحكاه أَبو حاتم، وأَنشد لِأَوس بن حجر:[من البسيط]

إن من الحيِّ موجوداً[١] خليفتُه وما خليفُ أَبي وهبٍ بموجودِ[٢]

انتهى.

قلت: قد جاء أَوس في بيته هذا باللغتين معاً: خليفة وخليف.

المسأَلة الثانية: في أَول من ولي الخلافة ودُعِيَ بها:

في كتاب «نفحة الحدائق والخمائل»: أَول من ولي الخلافة أَبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه.

وفي كتاب «الاستيعاب» (٩٧١) لأبي عمر: كان أَبو بكر يقول: أَنا خليفة رسول الله، وكان يُدْعَى: يا خليفةَ رسولِ الله. وروى بسند عن ابن أَبي مُلَيكَة قال، قال رجل لأبي بكر: يا خليفة الله، قال: لستُ بخليفةِ الله، ولكني خليفةُ رسول الله، وأَنا راضٍ بذلك.

المسأَلة الثالثة: في معنى الأَمير.

في «المحكم» الأَمير: الآمر، والأَمير: المَلِكُ لنَفَاذِ أَمره بين الإمارة والأَمَارة، وأَمَر علينا يأْمُرُ أَمراً، وأَمُرَ وأَمِرَ كَوَلِيَ.

تنبيــه:

المشهور في الإمارة من الولاية كسر الهمزة، وزاد في المحكم فتحها، وأَما

---

(١) م ط: موجود.

(٢) البيت في ديوان أوس: ٢٥ واللسان والتاج (خلف).

الأَمارة بمعنى العلامة فهي بفتح الهمزة لا غير، كذلك، قيَّدها الهروي والفارابي، وأَنشدا جميعا: [من الطويل]

إذا طلعَتْ شمسُ النهارِ فإنها أَمارةُ تَسلِيمِي عليكِ فسلِّمِي

المسألة الرابعة: في أول من تسمى بأَمير المؤمنين وهو عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه.

ذكر أبو عمر ابن عبدالبر في «الاستيعاب» (١١٥١) أَن عمر بن عبدالعزيز رحمه الله تعالى سأَل أَبا بكر بن سليمان بن أَبي حَثْمَة[1]: أَيّ شيء كان أَبو بكر يكتبُ من خليفة رسول الله، وكان عمر يكتب من خليفة أبي بكر، ومَنْ أَوَّلُ من كتب من عبدالله أمير المؤمنين؟ قال: حدثتني الشفاء، وكانت من المهاجرات الأُول، أَن عمر بن الخطاب كتب إِلى عامل العراق: أَن ابعثْ إِليَّ برجلين نبيلين أَسأَلهما عن العراق، فبعث إِليه عاملُ العراق لبيدَ بن ربيعة العامري، وعديَّ بن حاتم الطائي، فلما قدما المدينة أَناخا راحلتيهما بفناء المسجد، ثم دخلا المسجد فإِذا هما بعمرو بن العاص، فقالا له: استأْذن لنا على أَمير المؤمنين يا عمرو، فقال عمرو: أَنتما واللّه أَصبتما اسمه، نحن المؤمنون وهو أَميرنا، فوثب عمرو فدخل على عمر فقال: السلام عليك يا أَميرَ المؤمنين، فقال عمر: ما بدا لك في هذا الاسم؟ يعلم الله لتخرجنَّ مما قلت أَو لأفعلن، قال: إِن لبيد بن ربيعة وعديَّ بن حاتم قدما فأَناخا راحلتيهما بفناء المسجد، ثم دخلا المسجد وقالا لي: استأْذن لنا على أَمير المؤمنين، فهما والله أَصابا اسمك، أَنت الأَمير ونحن المؤمنون، قال: فجرى الكتاب من يومئذ. انتهى.

المسأَلة الخامسة: في أَول من تسمى بأَمير المسلمين وهو يوسف بن تاشفين رحمه الله تعالى:

---

(١) أبو بكر بن سليمان بن أبي حثمة العدوي المدني روى عن أبيه وجدته الشفاء، قال فيه الزهري: كان من علماء قريش؛ وثقه ابن حبان (تهذيب التهذيب ١٢: ٢٥).

وفي «الحدائق والخمائل» أول من تسمَّى بأمير المسلمين يوسف بن تاشفين[1]، وكان أَولَ من دعاه به المعتمدُ بن عباد، فاستحسن ذلك منه ومرت عليه هذه التسمية إلى أَن مات.

(١) يقال إن يوسف بن تاشفين لقب أمير المسلمين بعد الزلاقة سنة ٤٧٩، وأصبح هذا اللقب شعار المرابطين؛ وأما قول من قال إنه تلقب بأمير المؤمنين فذلك على الأرجح وهم (راجع التراتيب الإدارية ١: ١٠).

الباب الثاني
في الوزير
وفيه أربعة فصول

الفصل الأول
في معنى الوزير واشتقاق اسم الوزارة

في كتاب «أحكام القرآن» (٤: ١٦٣٠) للقاضي أبي بكر ابن العربي رحمه الله تعالى: الوزارة عبارةٌ عن رجلٍ موثوقٍ به في دينه وعقله، يشاوره الخليفةُ فيما يعنُّ له من الأُمور. انتهى.

وفي اشتقاق الوزير ثلاثة أقوال:

الأول: أن يكون مشتقاً من الوِزْر، وهو الثِّقْل، بكسر الواو وسكون الزاي، كذلك ضبطه الفارابي (٣: ٢٣٦)فكأن الوزير يحمل عن السلطان ثقلَ الأُمور، قاله الهروي والعزيزي وابن سيده.

والثاني: أن يكون مشتقاً من الوزَر: وهو المكانُ الممتنع في الجبل يُلْجَأ إليه ويمتنع فيه ــ بفتح الواو والزاي معاً ــ كذلك ضبطه الفارابي أيضاً (٣: ٢١٥) فكأن الوزير يلجأُ إليه السلطانُ فيما يعنُّ له من الأُمور، ويمتنع برأْيه من الخطأ، قاله الهروي وابن سيده.

والثالث: أن يكون مشتقاً من الأَزْر: وهو الشدة والقوة ــ بفتح الهمزة وسكون الزاي ــ كذلك ضبطه الفارابي أيضاً (٤: ١٤٠) فكأن الوزير يشدّ أمر السلطانِ ويقويه، قاله ابن سيده. قال: ومن هنا أيضاً ذهب بعضهم إلى أن الواو في الوزير بدلٌ من الهمزة وقال: وحالته الوَزارة والوِزارة، والكسر أعلى. انتهى.

الفصل الثاني
في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم:
وزيراي من أهل السماء جبريل وميكائيل،
ووزيراي من أهل الأرض أبو بكر وعمر

في كتاب «أحكام القرآن» (٤: ١٦٣٠) وكتاب «سراج المريدين» للقاضي أبي بكر ابن العربي رحمه الله: في الحديث الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم: وزيراي من أهل السماء: جبريل وميكائيل، ووزيراي من أهل الأرض أبو بكر وعمر.

وخرج مسلم (٢: ٢١١) رحمه الله تعالى عن سعد بن إبراهيم عن أبيه عن سعد قال: رأيت عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شِمالِهِ يومَ أُحد رَجُلَين عليهما ثِيَابُ بَيَاض ما رأيتُهما قبلُ ولا بعدُ، يعني جبريلَ وميكائيلَ عليهما السلام.

وخرج مسلم (٢: ٢١١) رحمه الله عن سعد أيضاً عن أبيه عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال: لقد رأيتُ يوم أُحد عن يمينِ رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن يسارِه رجلين عليهما ثيابٌ بِيضٌ يقاتلان عنه كأَشدِّ القتال ما رأيتُهما قبل ولا بعدُ. انتهى.

وفي هذه الأحاديث ثبوتُ مؤازرة جبريلَ وميكائيل عليهما السلام له صلى الله عليه وسلم وتصحيح الحديث الحسن الذي خرجه أبو بكر ابن العربي في ذلك.

وقد ذكر ذلك حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه في شعره، فقال يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنشده الفقيه أبو القاسم العزفي في «الدرّ المنظم في مولد النبي المعظّم»: [من الكامل]

يا ركنَ معتَمِدٍ وعصمةَ لائذٍ ... وملاذَ مُنْتَجِعٍ وجارَ مُجاورِ
يا من تخيَّرَهُ الإلهُ لخلقه ... فحباه بالخُلُقِ الرضيِّ الطاهر

(١) لم أجد الأبيات في ديوان حسان.

أنت النبيّ وخيـرُ عِتْـرَةِ آدمٍ يا مَنْ يجودُ بفيضِ بحرٍ زاخر
ميكالُ مَعْكَ وجبرئيلُ كـلاهما مـددٌ لنصرِكَ من عـزيزٍ قـاهـر

الفصل الثالث
في ذكر أبـي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما وأنسابهما وأخبارهما

أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه:

قد تقدم من ذكره في الباب الذي قبـل هـذا ما فيه كفاية، والحمد لله.

عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه:

في «الاستيعـاب» (١١٤٤): عمر بن الخَـطَّاب بن نُفَيْل بن عبـدالعُزَّى بن رِياح بن عبدالله بن قرط بن رَزَاح بن عديّ بن كعب القرشي العدوي، أبو حفص، أَسلم بعد أَربعين رجلاً، فكان إِسلامه عزّاً ظهر به الإِسلام[1] بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم.

وفي «السير» لابن إِسحاق (١: ٣٤٥) أَن خَبَّاب بن الأَرت قال لعمر يحضه على الإِسلام يوم أَسلم: والله إِني لَأرجو أَن يكونَ الله قد خصَّكَ بدعوةِ نبيه، فإِني سمعتُهُ أَمس وهو يقول: اللهم أَيِّدِ الإِسلامَ بأَبي الحكم ابن هشام أَو بعمر بن الخطاب.

وفي «الاستيعاب» (١١٤٧): ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدر عمر حين أَسلـم ثلاث مرات، وهو يقول: اللهم أَخرجْ ما في صدره من غلّ وأَبدِلْهُ إِيماناً، يقولها ثلاثاً.

وهاجر فهو من المهاجرين الأَولين، وشهد بدراً وبيعة الرضوان وكلَّ مشهدٍ شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتُوُفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنه راضٍ.

---

(١) م: به في الإِسلام.

وقال صلى الله عليه وسلم: إن الله جعل الحقَّ[1] على لسان عمر وقلبه. وقال عليه السلام: قد كان في الأُمم قبلكم مُحدَّثُون، فإن يكن في هذه الأُمة أَحدٌ فعمر بن الخطاب. وولي الخلافة بعد أَبي بكر باستخلافه سنة ثلاث عشرة، فسار بأَحسنِ سيرةٍ وفتح الله له الفتوحَ بالشام والعراق ومصر. وكان لا يخافُ في الله لومة لائم، وكان من أَشراف قريش، وإليه كانت السفارة في الجاهلية، وذلك أَن قريشاً إذا وقعت بينهم حرب، أَو بينهم وبين غيرهم، بعثوه سفيراً، وإن نافرهم منافر أَو فاخرهم مفاخر بعثوه منافراً ومفاخراً، ورضوا به.

ولد بعد الفيل بثلاث عشرة سنة[2]، وقُتِل رحمه الله سنة ثلاث وعشرين، طعنه أَبو لؤلؤة فيروز غلام المغيرة بن شعبة لثلاثٍ بقين من ذي الحجة وقيل لأربعٍ بقين منه يوم الأَربعاء، وكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر.

وفي «الاكتفاء» أَن عمر رضي الله تعالى عنه بعد أَن قدم المدينة من حجه، خرج يوماً يطوف بالسوق، فلقيه أَبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة، وكان نصرانياً لعنه الله.

وفي «الاستيعاب» (١١٥٥) ويقال[3] كان مجوسياً.

رجع إلى «الاكتفاء»: فقال يا أَمير المؤمنين: أَعْدِني[4] على المغيرة فإن علي خراجاً كثيراً، قال: وكم خراجك؟ قال: درهمان في كل يوم، قال: وأَيش صناعتك؟ قال: نجار، نقاش، حداد. قال: فما أَرى خراجك كثيراً على ما تصنعُ من الأَعمال. ثم انصرف عمر رضي الله تعالى عنه إلى منزله، فلما كان صبحُ اليوم الثالث خرج رضي الله تعالى عنه إلى الصلاة، وكان يُوَكِّلُ بالصفوف رجالاً، فإذا استوت أَخبروه فكبر، فدخل أَبو لؤلؤة في الناس، في يده خنجر له رأْسان نصابُهُ في

---

(١) ط: جُعِلَ الحقّ.
(٢) سنة: سقطت من ط.
(٣) ويقال: سقطت من ط.
(٤) بهامش م: لعله أعني.

وسطه، فضرب عمر رضي الله تعالى عنه ست ضربات، إحداهن تحت سرته، وهي التي قتلته، فلما وجد عمر رضي الله تعالى عنه حرَّ السلاح سقط، وقال دونكم الكلب فإنه قد قتلني، وماج الناس فأسرعوا إليه فجرح منهم ثلاثة عشر.

وفي «الاستيعاب» اثني عشر[1] مات منهم ستة.

رجع إلى «الاكتفاء»: فجاء رجل فاحتضنه من خلفه، وقيل: ألقى عليه بُرْنُساً، فقيل: إنه لما أُخِذَ قتل نفسه، وأمر عمر رضي الله تعالى عنه عبدالرحمن بن عوف فصلَّى بالناس، ثُمَّ حُمِلَ رضي الله تعالى عنه إلى منزله، وكان مقتله رضي الله تعالى عنه لأربع بقين من ذي الحجة من سنة ثلاث وعشرين، وقيل لثلاث بقين منه، وقيل إن وفاته كانت في غرة المحرم من سنة أربع وشعرين.

وفي «الاستيعاب» (١١٥٥): واختلف الناس في سن عمر رضي الله تعالى عنه يوم مات، فقيل اثنتان وخمسون، وقيل أربع وخمسون، وقيل خمس وخمسون، وقيل ستون، وقيل ثلاث وستون. وقال أبو الربيع ابن سالم في «الاكتفاء»: وأشهر ما في ذلك: ثلاث وستون، وأنه استوفى بمدة خلافته سِنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسِنَّ أبي بكر رضي الله تعالى عنه.

فوائد لغوية في خمس مسائل:

المسألة الأُولى: من «شرح العمدة» لابن دقيق العيد[2]: رياح في نسب عمر رضي الله تعالى عنه براء مهملة مكسورة بعدها الياء أخت الواو وألف وحاء مهملة، ورزاح براء كذلك بعدها زاي معجمة وألف وحاء مهملة.

المسألة الثانية: في «المشارق» (١:١٨٣) مُحَدَّثون بفتح الدال، قال البخاري: يجري على ألسنتهم الصواب.

---

(١) في الاستيعاب أيضاً ثلاثة عشر.

(٢) انظر العدة للصنعاني ١:١٨٣.

وقال ابن قتيبة: يصيبون إذا ظنوا وحَدَسوا، ويقال: مُحَدَّث أي كأنه لإصابته حُدِّث بذلك[1].

المسألة الثالثة: في «الأفعال» لابن طريف: أعدى الحاكم المظلوم نصره، وأعديتُ الرجلَ نصرتَه على حقه، وأعديته من حقه أنصفته.

المسألة الرابعة: في «المشارق» (١: ٢٣٢) الخَرْج ـ بفتح الخاء وسكون الراء ـ والخَراج: الغلة.

المسألة الخامسة: وأيش صناعتك، في «اليواقيت» للمُطَرِّز[2]. قال: سمعت ثعلباً يقول: إذا لم يسمع العَالِم شيئاً أنكره، قال الأصمعي: لا يدعُ أهل بغداد قولهم: أيش أبداً، قال أبو العباس: ولم يسمعها الأصمعي، وهي فاشية في كلام العرب فصيحة، أنشدنا ابن الأعرابي عن أبي زيد: [من الرجز]

عُجَيِّزٌ مائلةُ المكيالِ مَشنوجَةُ الكفِّ عن العيال
أقول زيديَ أيْشٍ حالي

وفي «التسهيل»[3] في الكلام على أيّ: وقد يحذف ثالثها في الاستفهام. قال ابن هانىء في «شرحه»: وأنشد عليه ابن عصفور، قلت: ولم ينسباه للفرزدق، ونسبه ابن سيده في «المحكم» للفرزدق: [من الطويل]

تَنَظَّرْتُ نَصْراً والسِّماكين أيْهُما عَلَيَّ من الغيث استهلَّتْ مواطرُه[4]

قال ابن هانىء: ومنه قولهم أيشٍ هذا.

---

(١) هنا ينتهي النقل عن المشارق.

(٢) المطرز هو أبو عمر محمد بن عبدالواحد المعروف بغلام ثعلب وبالمطرز، أكثر من الأخذ عن ثعلب، وتوفي سنة ٣٤٥ وله عدة مؤلفات منها اليواقيت (ويسميه القفطي: الياقوت)؛ وقد اعتمد ابن السيد البطليوسي على كتبه في تأليفه لكتاب «المثلث» (انظر وفيات الأعيان ٤: ٣٢٩ والحاشية للمصادر).

(٣) التسهيل (تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد) لابن مالك كتاب جامع لمسائل النحو، وعليه شروح كثيرة منها شرح لمحمد بن علي المعروف بابن هانىء السبتي المتوفى سنة ٧٣٣.

(٤) ديوان الفرزدق ١: ٢٨١ من قصيدة في مدح نصر بن سيار؛ وفي ط م: نسراً، وهو على التوهم لذكر «السماكين».

وفي «البسيط» لابن أبي الربيع[1] قالوا: أَيْشٍ هذا، والمعنى: أي شيءٍ هذا، فحذفت العين واللام وبقيت الفاءُ لكثرة الاستعمال، ذكره في باب القَسَم.

ومن كتاب «معاني القرآن» (١:٢) للفراء[2] رحمه الله تعالى: من الكلام على حذف الألف من بسم الله الرحمن الرحيم قال: إنما حذفت الألف في بسم الله الرحمن الرحيم في أوائل السور والكتب لأنها وقعت في موقعٍ معروفٍ لا يجهل القارئُ معناه، ولا يحتاج إلى قراءته فاستخفّ طرحها، لأن من شأن العرب الإيجاز وتقليل الكثير إذا عرف معناه.

قال: ومما كثر في كلام العرب فحذفوا منه أكثر من ذا قولُهم، أَيْشِ عندك فحذفوا إعراب أي وإحدى ياءيه، وحذفت الهمزة من شيءٍ، وكسرت الشين وكانت مفتوحة.

ومن مليح ما وقعت فيه أَيش من كلام المتأخرين ما أنشده الإمام أبو القاسم القشيري رحمه الله تعالى لبعضهم في كتابه «التحبير في تفسير أسماءِ الله الحسنى»: [من البسيط]

ملكتُ نفسي وكنت عبداً ... فزال رقي وطاب عيشي
أصبحتُ أَرْضَى بحكمِ ربي ... وإن لم أَكُنْ راضياً فأَيشِ

الفصل الرابع
فيما جاء في الوزير الصالح

روى النسائي (٧:١٥٩) رحمه الله تعالى عن عائشة رضي الله تعالى عنها

---

(١) ابن أبي الربيع: عبيدالله بن أحمد بن عبيدالله أبو الحسين الإشبيلي إمام أهل النحو في زمانه، قرأ النحو على الدبّاج والشلوبين ثم ارتحل إلى سبتة لما استولى الفرنجة على إشبيلية وأقرأ بها النحو بقية حياته وتوفي سنة ٦٨٨ وله مؤلفات عدة منها شرح سيبويه وشرح الجمل (بغية الوعاة ٢:١٢٥).

(٢) نقله أيضاً أبو حاتم في الزينة ٢:٦ وقارن بأدب الكاتب لابن قتيبة ٢٣٦ ــ ٢٣٧.

قالت، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من ولي منكم عملاً فأراد الله به خيراً جعل له وزيراً صالحاً فإن نسي ذَكَّره، وإن تذكر أعانه. انتهى.

وروى أبو داود (٢:١١٨) رحمه الله تعالى عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا أراد الله بالأمير خيراً جعل له وزيرَ صدقٍ إن نسي ذكره، وإنْ ذكر أعانه، وإن أراد به غيرَ ذلك جعل له وزيرَ سوءٍ، إن نسي لم يذكره وإن ذكر لم يعنه. انتهى.

وروى النسائي (٧:١٥٨) رحمه الله تعالى عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما من والٍ إلا وله بطانتان: بطانةٌ تأْمره بالمعروفِ وتنهاه عن المنكر، وبطانةٌ لا تألُوه خَبالاً، فمن وُقِيَ شرها فقد وُقِيَ، وهو من التي تَغْلِب عليه منهما.

وروى البخاري (٩:٩٥) رحمه الله تعالى عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما بُعِثَ من نبيّ ولا استخلف من خليفةٍ إلا كانت له [بطانتان]: بطانةٌ تأمره بالمعروف[1] وتحضُّهُ عليه، وبطانةٌ تأمره بالشرِّ وتحضه عليه، فالمعصوم من عصم[2] الله. انتهى.

فوائد لغوية في أربع مسائل:

الأولى: الهروي: كلُّ ما نُسِبَ إلى الصلاح والخير أُضيفَ إلى الصدق، فقيل: رجل صِدق وصديق صدق.

وقال الزمخشري في «الكشاف» (٢:٢٠٩) قولك رجل سوء نقيض قولك رجل صدق.

وفي «المفصل»: (١١٤) وتقول: مررت برجلٍ: رجلِ صِدْقٍ، ورجلٍ: رجلِ

---

(١) كذلك هو في البخاري؛ وفي ط والطبعة التونسية: بالخير.

(٢) ط: عصمه (وموضعها مطموس في م).

سوء، كأنك قلت: صالح وفاسد، والصدق ها هنا بمعنى الصلاح والجودة، والسوء بمعنى الفساد والرداءة.

الثانية: في «الجامع» للقزاز: بَطَّنَ ثوبه إذا جعل له بطانةً، أي ثوباً داخلاً، ومنه أُخِذَ بطانة الرجل، وهم الذين يداخلونه كأنهم خُصُّوا بباطِن أمرِه.

وفي «الديوان» (٢: ١٣٥): بَطَنَ فلانٌ بفلانٍ يبطُن: إذا كان خاصّاً به ــ بفتح الطاءِ في الماضي وضمها في المستقبل.

الثالثة: في «ديوان الأدب» (٤: ٢٠٠): ما أَلَوْت أي ما قصرت، وأَلَوْتُ: أبطأت في باب فعلت بفتح العين أَفعُل بضمها.

وفي «الجامع»: أَلْواً وأُلُوّاً وأُلِيّاً مثل: عُتُوّاً وعُتِيّاً.

الرابعة: في «الغريبين»: الخَبَالُ والخَبْلُ: الفساد، وقد يكون في الأفعال والأبدان والعقول.

الباب الثالث
في صاحب السر

من «تاريخ بغداد» (١: ١٦١ ـ ١٦٢) للخطيب: حُذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنه: كان صاحبَ سرِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لقربه منه وثقته به وعلوّ منزلته عنده.

روى «النسائي»[١] رحمه الله تعالى عن علقمة قال: قدمتُ الشامَ فدخلتُ مسجدَ دمشق، فصلّيتُ ركعتين ثم قلت: اللهم أرزقني جليساً صالحاً، فجلستُ إلى أبي الدرداء، فقال لي: ممن أنت؟ قلت: من أهل العراق، فقال: كيف كان يقرأُ عبدالله: ﴿واللَّيْلِ إذا يَغْشَى والنَّهَار إذا تَجَلَّى والذكر والأُنثى﴾ قلت: هكذا كان يقرؤُها عبدالله، فقال أبو الدرداء: هكذا سمعتُها من رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم قال: فيكم الذي أُجير من الشيطان وفيكم الذي يعلمُ السرَّ لا يعلمه غيره، يعني حذيفة. انتهى.

تنبيـــه:

سيأْتي ذكر حذيفة رضي الله تعالى عنه في باب كاتب الجيش فيما يأْتي من هذا الكتاب، وذكر نسبه وأَخباره، إن شاء الله تعالى.

وذكر ابن قتيبة في كتاب «عيون الأَخبار» (١: ١٩) بسنده عن الشعبي عن عبدالله بن عباس[٢]: قال، قال لي أَبي: يا بني إني أَرى أَمير المؤمنين يستخليك

---

(١) لا يرد هذا في المطبوع من النسائي، لأن المطبوع يمثل المجتبى من السنن، فأما السنن كاملة فإني لم أجدها مطبوعة؛ وقارن بما ورد عند البخاري ٥: ٣١ ـ ٣٢.

(٢) نصيحة العباس لابنه وردت أيضاً في أخبار الدولة العباسية: ١٢٠ والكامل للمبرد ١: ٢٦٥، ٢: ٣١٢ وأنساب الأشراف ٣: ٥١ والعقد ١: ٩ والزهرة ٢: ٢٦٤ ونثر الدر ١: ٤٠٤ وبهجة المجالس

ويستسرُّك ويستفهمُك ويقدمُك ويفضلُك على الأكابر من أَصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإني أُوصيك بخلالٍ ثلاث: لا تفشينَّ له سراً، ولا يُجَرِّبَنَّ عليكَ كذباً، ولا تغتابنَّ عنده أَحداً. قال الشعبي، قلت لابن عباس: كلُّ واحدةٍ خيرٌ من أَلف، قال: أَي والله ومن عشرة آلاف.

فائدة لغوية:

في «الصحاح» (٢:٦٨٣) أَسررتُ الشيءَ: كتمتُه، وأَسرَّ إليه حديثاً، أَي أَفضى، وسارَّه في أُذنه مُسارَّة وسراراً، وتسارُّوا أَي تناجوا، والسرُّ: الذي يكتم.

= ١:٣٤٣، ٤٠٢، ٤٥٨ وكتاب الآداب: ٢٨ ولباب الآداب: ١٥ والتذكرة الحمدونية ١:١٠٣ وربيع الأبرار ١:٤٩٦ وسراج الملوك: ٢٠٣ وبرد الأكباد: ١١٤ ونهاية الأرب ٦:١٦ وغرر الخصائص: ٤٤١ وعين الأدب والسياسة: ١٥٤ والمستطرف ١:٨٩.

الباب الرابع
في الآذن والحاجب والبواب
وفيه أربعة فصول

الفصل الأول
في ذكر من كان يأذن على النبي صلى الله عليه وسلم

روى مسلم رحمه الله تعالى عن جابر بن عبدالله قال: جاء أبو بكر يستأْذنُ على النبي صلى الله عليه وسلم فوجد الناسَ جلوساً ببابه لم يؤذن لأحد منهم، قال: فأَذن لأبي بكر فدخل، ثم أَقبل عمر فاستأْذن فأَذن له، وساق الحديث.

وفي كتاب «أَنباء الأَنبياء» للقضاعي[1]: آذِنُهُ عليه السلام أَنسُ بن مالك.

قال القاضي أبو بكر ابن العربي في كتاب «الأَحكام» (٣: ١٣٥١): كان أَنس بن مالك رضي الله تعالى عنه يستأْذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعمل على قوله، وفي ذلك دليل أَنه يجوز من الصغير.

وفي كتاب «أَخلاق النبي صلى الله عليه وسلم» (١٦٢) لابن حيان عن عمر أَن النبي صلى الله‌عليه وسلم صعد مشرُبةً، وعلى الباب وصيفٌ له، فقلت له: استأْذنْ لي على رسول الله صلى الله‌عليه وسلم، فاستأْذن لي، فإِذا رسول الله صلى الله‌عليه وسلم على حصيرٍ قد أَثَّر في جنبه، وإِذا تحتَ رأْسه مِرْفقةٌ من أَدَمٍ حَشْوُها ليفٌ.

---

(١) هو محمد بن سلامة القضاعي الفقيه الشافعي صاحب الخطط والشهاب وغيرهما من المؤلفات، توفي سنة ٤٥٤ وكتابه المذكور هنا يسمى الأنباء عن الأنبياء (انظر ابن خلكان ٤: ٢١٢ والحاشية).

وخرجه البخاري رحمه الله تعالى في «صحيحه» (٧:٣٧) مطولاً في كتاب النكاح، وفيه: فقلت لغلامٍ له أَسود: استأْذن لعمر.

وفي «مختصر السير» لابن جماعة رحمه الله: وأَذن عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ رباحُ الأَسود وأَنسة مولياه: انتهى.

فائدتان لغويتان:

الأُولى: في «الصحاح (١:١٠٧)»: حجبه أَي منعه عن الدخول، وحاجب الأَمير جمعه حُجَّاب، واستحجبه: ولاه الحِجبة، واحتجب الملك عن الناس، وملك مُحَجَّب.

الثانية: ابن سيده: أَذن له في الشيء إِذْناً: أَباحه له، واستأْذنه: طلب منه الإِذن، وأَذِنَ له عليه: أَخَذ له منه الإِذن. و«في الديوان» (٤:٢١٥) بكسر الذال في الماضي وفتحها في المستقبل. وفي «الصحاح» (٥:٢٠٦٨) يقال: إِيذن لي على الأَمير، والآذن: الحاجب.

الفصل الثاني
في ذكر أَنسابهم وأَخبارهم رضي الله تعالى عنهم

١ ـ **أَنس بن مالك رضي الله تعالى عنه**: يأْتي الكلام عليه مستوفى في باب صاحب الطهور.

٢ ـ **أَنسة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم**: في «الاستيعاب» (١٣٧): أَنسة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، يكنى أَبا مسْرح، ويقال أَبا مَسْروح، ذُكر في من شهد بدراً، وكان من مولَّدي السَّراة، وكان يأْذن على النبي صلى الله عليه وسلم إِذا جلس، فيما حكى مصعب الزبيري، ومات في خلافة أَبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه. وذكر المدائني عن ابن عباس قال: استشهد يوم بدر أَبو أَنسة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ كذا قال: أَبو أَنسة، والمحفوظ: أَنسة.

قال الواقدي (١٣٨): ليس ذلك عندنا بثبت، قال: ورأيت أهل العلم يثبتون أنه قد شهد أُحُداً وبقي بعد ذلك زماناً. قال: وحدثني ابن أبـي الزناد عن محمد بن يوسف قال: مات أنسة بعد النبـي صلى الله عليه وسلم في ولاية أبـي بكر رضي الله تعالى عنه.

تنبيـــه:

كتب أبو علي الغساني[١] في نسخته التي بخطه من «الاستيعـاب» على أبـي مسْرح طُرَّةً نصها:

أبو مِسرح ــ بالسين غير معجمة ــ وقـع فـي تاريخ ابن أبـي خيثمة[٢]، وكذلك رويناه عن أبـي علي ابن السكن[٣].

٣ ــ رباح مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم: في «الاستيعاب» (٤٨٧) رباح مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم: كان أسود، وربما أَذِن على النبـي صلى الله عليه وسلم أحياناً، إذا انفرد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأخذ عليه الإذن.

الفصل الثالث
في البواب

روى البخاريّ (٩:٨١) رحمه الله تعالى عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: مرَّ النبـيّ صلى الله عليه وسلم بامرأة تبكي عند قبر، فقال: اتقي الله

---

(١) أبو علي الغساني حسين بن محمد بن أحمد ويعرف بالجياني، كان في عصره رئيس المحدثين بقرطبة، وتوفي سنة ٤٩٨ (انظر الصلة: ١٤٢ والغنية: ١٣٨ والمعجم في أصحاب الصدفي: ٧٧ وفي حاشية الغنية ذكر لمصادر أخرى).

(٢) هو «التاريخ الكبير» تصنيف ابن أبـي خيثمة أحمد بن زهير النسائي البغدادي المحدث، وكانت وفاته سنة ٢٧٩ (انظر تاريخ بغداد ٤:١٦٢ وطبقات الحنابلة ١:٤٤).

(٣) هو أبو علي سعيد بن عثمان بن سعيد بن السكن البغدادي الحافظ، توفي بمصر سنة ٣٥٣ وله الصحيح المنتقى في الحديث (انظر تهذيب ابن عساكر ٦:١٥٤ وتذكرة الحفاظ: ٩٣٧).

واصبري؛ قالت: إليكَ عني فإنك لم تُصَبْ بمصيبتي ـ ولم تعرفه ـ فقيل لها إنه النبي صلى الله عليه وسلم، فَأَتَتْ بابَ النبي صلى الله عليه وسلم فلم تجدْ عنده بوابين، فقالت: لم أعرفك: فقال: إنما الصبر عند الصدمة الأُولى.

الفصل الرابع
في ذكر حُـجَّاب الخلفاء الأربعة رضي الله تعالى عنهم

١ ـ **حاجب أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه**: في كتاب «أنباء الأنبياء» للقضاعي، وكتاب «بلغة الظُّرفَاء» (١٠) لابن أبي السرور الروحي:

حاجب أبي بكر رضي الله تعالى عنه شديد[1] مولاه؛ وفي كتاب «بهجة النفس» لابن هشام: حاجب أبي بكر رضي الله عنه سديف مولاه وقيل: شديد.

٢ ـ **حاجب عمر رضي الله تعالى عنه**: في كتاب «الأنباء» و«البلغة» و«البهجة»: مولاه يَرْفأ. وفي كتاب «الموالي» للجاحظ: كان يَرْفأ حاجب عمر رضي الله تعالى عنه يدعو صُهيباً وبلالاً وخبَّاباً وعمّاراً وسلماناً قبل الناس، ثم يدخلُ الناسُ بعدهم على مراتبهم، حتى تمعَّرَ وجهُ الأقرع بن حابس، وعيينة بن حِصن، وحكيم بن حِزام، ورجال من جِلَّةِ قريش وسادة العرب، فلما رأى سهيلُ بن عمرٍو ذلك، وكان فيهم، قال: لم تمعَّرُ ألوانُكم وتربَدُّ وجوهكم؟ دُعُوا ودُعِينا فأسرعوا وأَبطأْنا، فلئن حسدتموهم على باب عمر وجفانه لَما أُعِدَّ لهم في الجنة أكثرُ فليَطُلْ حسدكم. وقال آخر: كيف بكم وبهم إذا دُعُوا إلى الجنة وتُركتُم؟

وقال ابن قتيبة في «المعارف» (٥٥٨): أول من رشا في الإسلام المغيرة بن شعبة، وقال: ربما عرق الدرهم في يدي أَرفعه ليَرْفأ ليسهل إذني على عمر.

وخرَّج البخاري (٤: ٩٦ ـ ٩٧) رحمه الله تعالى عن مالك بن أوس بن الحدَثان قال: بينا أنا جالس في أهلي حين مَتَع النهار، إذا رسول عمر بن الخطاب رضي الله

---

(١) في بلغة الظرفاء: سديد (بالسين المهملة).

تعالى عنه يأْتيني فقال: أَجبْ أَمير المؤمنين، فانطلقتُ معه حتى أَدخل على عمر؛ وذكر الحديث وفيه: فبينا أَنا جالسٌ عنده أَتاه حاجبه يَرْفَأ فقال: هل لك في عثمان وعبدالرحمن بن عوف والزبير وسعد بن أَبـي وقاص يستأْذنون؟ قال: نعم، فأَذن لهم، فدخلوا وجلسوا، وساق الحديث.

فوائد لغوية في ثلاث مسائل:

الأُولى: في «الصحاح» (٢: ٨١٨) تَمَعَّرَ لونه عند الغضب: تَغَيَّر.

الثانية: في «الصحاح» (١: ٤٦٩) تَرَبَّدَ وجهُ فلان أَي تغير من الغضب، وقد تَرَبَّد الرجل تَعَبَّس.

الثالثة: في «المشارق» (١: ٢٢٤) مالك بن أَوس بن الحدَثان ــ بدال مهملة مفتوحة وثاء مثلثة.

٣ ــ حاجب عثمان رضي الله تعالى عنه: حُمران مولاه، ذكره ابن هشام في «البهجة». وفي «العمدة» للتلمساني: من موالي عثمان رضي الله تعالى عنه حُمران بن أَبان، وهو من سبي عين التمر، وسكن البصرة، وبقي إلى زمن عبدالملك بن مروان.

وحجبه أَيضاً نائل مولاه، ذكر ابن السكيت في «شرح شعر حاتم الطائي» أَن عدي بن حاتم رضي الله تعالى عنه قدم على عثمان رضي الله تعالى عنه في خلافته، فحجبه نائل مولى عثمان، فلما خرج عثمان عَرَضَ له عدي، فرحَّبَ به عثمان، فشكا نائلاً، فلامه عثمان فقال: لا تحجبْه فإنا نعرفُ له فضله، ورأيَ الخليفتين فيه وفي قومه.

٤ ــ حاجب علي رضي الله تعالى عنه: قَنْبَر مولاه، ذكره ابن هشام في «البهجة» وذكره القضاعي في كتاب «الأَنباء» وزاد: كان قبله بشر مولاه أَيضاً.

فائدة لغوية:

في «الصحاح» (٢: ٧٨٥) قَنْبَر ــ بالفتح ــ اسم رجل.

الباب الخامس
في ذكر الخادم
وفيه فصلان

الفصل الأول
في ذكر مَنْ تولَّى خدمةَ النبي صلى الله عليه وسلم

قال ابن جماعة في «مختصر السير» في ذكر خدم النبي صلى الله عليه وسلم: منهم أبو حمزة أنس بن مالك الأنصاري، وهند وأسماء ابنا حارثة الأسلميان، وربيعة بن كعب الأسلمي.

وروى البخاري (٧: ٣٠)[١] عن ابن شهاب قال: أخبرنا أنس بن مالك أنه كان ابن عشر سنين مَقْدَمَ النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، فكان أمهاتي يواصينني[٢] على خدمة النبي صلى الله عليه وسلم، فخدمته عشر سنين، وتوفي النبي صلى الله عليه وسلم وأنا ابن عشرين سنة.

وذكر ابن عبدالبر في «الاستيعاب» (١٥٤٤) عن أبي هريرة أنه قال: ما كنت أرى أسماء وهند ابني حارثة إلا خادمين لرسول الله صلى الله عليه وسلم من طول ملازمتهما بابه وطول خدمتهما إياه.

وقال أبو الفرج الجوزي في «مختصر الحلية» (١: ٢٨٤): ربيعةُ بن كعب الأسلمي كان يخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبيتُ على بابه لحوائجه.

---

(١) قارن بما جاء عن خدمة أنس للرسول، صحيح البخاري ٤: ١٣، ٨: ١٧، ٦٥.

(٢) البخاري: يواظبني، وفي رواية يواطني.

فائدة لغوية:

في «المحكم» (٥: ٩٠) خدمه يخدُمه ويَخْدِمه خِدْمَةً، وخَدْمَةً، الفتح[1] عن اللحياني، وقيل: الفتح: المصدر، والكسر: الاسم، والمذكر: خادِم، والجمع: خُدَّام، والخدم: اسم للجمع، والأُنثى: خادم وخادِمة: عربيتان فصيحتان، وخدم نفسه يخدُمها ويخدِمها كذلك. وحكى اللحياني: لا بد لمن لم يكن له خادم أَنْ يختَدِم: أَي يخدم نفسه، واستخدَمَه فأَخدمه: استوهبه خادماً فوهبه له.

الفصل الثاني
في ذكر أنسابهم وأَخبارهم

١ ــ **أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه**: يأْتي الكلام عليه مستوفًى في باب الطهور.

٢، ٣ ــ **هند وأسماء ابنا حارثة الأسلميان**: في «الاستيعاب» (١٥٤٤، ٨٦): هند بن حارثةَ بن هند، ويقال: ابن حارثة بن سعيد بن عبدالله بن غياث بن سعد بن عمرو بن عامر بن ثعلبة بن مالك بن أَفْصَى الأَسلمي: شهِد هند بن حارثة بيعةَ الرضوان مع إِخوة له سبعة، وهم: هند وأَسماء وخـرَاش وذُؤَيْب وفَضالة وسَلَمة ومالك وحُمران، ولم يشهدها إِخوة في عددهم غيرهم، ولزم منهم النبيَّ صلى الله عليه وسلم اثنان: أَسماء وهند وكانا من أَهل الصُّفَّة.

قال أَبو هريرة: ما كنتُ أَرى أَسماء وهنداً ابني حارثة إِلا خادمين لرسول الله صلى الله عليه وسلم من طول لزومهما بابه وخدمتهما إِياه. وتوفي هند بالمدينة في خلافة معاوية، وتوفي أَسماء بالبصرة في خلافة معاوية أَيضاً، في ولاية زياد، وهو ابن ست وثمانين سنة.

٤ ــ **ربيعة بن كعب الأسلمي**: في «الاستيعاب» (٤٩٤) ربيعة بن كعب بن مالك بن يَعْمَر الأَسلمي أَبو فراس، معدود في أَهل المدينة، وكان من أَهل الصُّفَّة، وكان يلزم النبي صلى الله عليه وسلم في السفر والحضر، وهو الذي سأل رسول

---

(١) المحكم: الكسر.

الله صلى الله عليه وسلم مُرافقته في الجنة، فقال له: رسول الله صلى الله عليه وسلم: أَعِنّي على نفسك بكثرةِ السجود.

وفي «اختصار الجوزي لحلية أَبي نعيم» (٢: ٢٨٤ ـ ٢٨٥): ربيعة بن كعب الأَسلمي: أَسلم قديماً، وكان من أَهل الصفة، وكان يخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبيت على بابه لحوائجه.

وعن ربيعة بن كعب قال: كنتُ أَخدُم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأَقوم له في حوائجه نهاري أَجمع حتى يصلي رسول الله صلى الله عليه وسلم العشاءَ الآخرة فأَجلس ببابه، حتى إِذا دخل بيته أَقول: لعلها أَن تحدُثَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم حاجةٌ، فما أَزال أسمعه يقول: «سبحان الله وبحمده» حتى أَمَلَّ فأَرجعَ، أَو تغلبَني عيني فأَرقُدَ. فقال لي يوماً ـ لِمَا يرى من خِفَّتي له وخدمتي إِياه: يا ربيعة سلني أُعطك[1] قال فقلت: أنظُر في أَمري يا رسولُ الله ثم أُعلِمُك ذلك، قال: ففكَّرتُ في نفسي فعرفتُ أَن الدنيا منقطعةٌ وزائلة، وأَن لي فيها رزقاً سيكفيني ويأْتيني، قال فقلت: أَسأَل رسول الله صلى الله عليه وسلم لآخرتي، فإِنه من الله بالمنزلِ الذي هو به، قال: فجئته، قال: ما فعلتَ يا ربيعةُ؟ فقلتُ: يا رسولَ اللَّهِ أسألك أن تشفع لي إِلى ربك فيعتقني من النار قال: من أَمرك بهذا يا ربيعة؟ فقلتُ: والذي بعثك بالحق ما أَمرني به أَحدٌ، ولكن لما قلت: سلني أُعطك[1]، وكنتَ من الله بالمنزل الذي أَنت به، نظرتُ في أَمري فعرفتُ أن الدنيا منقطعة زائلة، وأَن لي منها رزقاً سيأْتيني، فقلت: أَسأَل رسول الله صلى الله عليه وسلم لآخرتي، قال: فصمت رسول الله صلى الله عليه وسلم طويلاً، ثم قال: إني فاعل فأعني على نفسك بكثرة السجود. وما زال ربيعة يلزم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيغزو معه، فلما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج فنزل على بريدٍ من المدينة، وبقي إِلى أَيام الحرة. انتهى.

قال أَبو عمر (٤٩٤): مات بعد الحرة سنة ثلاث وستين.

---

(١) م: أعطيك.

الباب السادس

في ذكر صاحب الوِسَاد
وفيه ثلاث فصول

الفصل الأول
في ذكر من تولى ذلك في عهد النبـي صلى الله عليه وسلم

روى البخاري (٥:٣١) رحمه الله تعالى قال: ذهب علقمة إلى الشام، فأَتى المسجـد فصلَّى ركعتين فقـال: اللهم ارزقني جليساً صـالحـاً، فجلس إلى أَبـي الدرداء، فقال: ممن أَنت؟ فقال: من أَهل الكوفة، فقال: أَليس فيكم صاحبُ السرِّ الذي كان لا يعلمه غيره؟ يعني حذيفة، أَو ليس فيكم، أَو كان فيكم، الذي أَجاره الله على لسان رسوله من الشيطان؟ يعني: عماراً، أَو لـيـس فيكم صاحب السِّواك والوساد؟ يعني ابن مسعود. كيف كان عبدالله يقرأ: والليلِ إذا يغشى قال: والذكر والأُنثى، فقال: ما زال بـي هؤلاء حتى كادوا يشككونني، وقد سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فائدة لغوية:

في «الصحاح» (١:٥٤٧) الوِساد والوسادة: المِخَدَّة، والجمع: وسائد ووُسُد، وقد وسدته الشيء فتوسده: إذا جعلتُه تحتَ رأْسه.

الفصل الثاني
كيف كان يتكيء صلى الله عليه وسلم ومن أَي شيءٍ كان الوساد

في كتاب «أَخلاق النبـي صلى الله عليـه وسلم (٢٤٥ ـ ٢٤٦)» لابن حيان الأَصبهاني عن أَنس قال: بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم جلوسٌ في

المسجد، إذ دخل رجل على جمل فأناخه في المسجد ثم عقله، ثم قال: أيكم محمد؟ ورسول الله صلى الله عليه وسلم متكىءٌ بين ظهرَانَيْهم، فقلنا له: هذا الأبيضُ المتكىء. انتهى.

وفي «شمائل النبي صلى الله عليه وسلم» (٦٣) للترمذي: حدثنا عباس بن محمد الدوري عن إسحاق بن منصور عن إسرائيل عن سِماك عن جابر بن سَمُرة قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم متكئاً على وسادة على يساره.

(٦٥) وحدثنا يوسف بن عيسى حدثنا وكيع حدثنا إسرائيل عن سماك عن جابر بنِ سَمُرة قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم متكئاً على وسادة.

قال أبو عيسى: لم يذكر وكيع فيه: على يساره، وهكذا رواه غير واحد عن إسرائيل نحو رواية وكيع، ولا نعلم أحداً ذكر فيه على يساره إلا ما رواه إسحاق بن منصور عن إسرائيل.

وروى مسلم (٢: ١٥٥) رحمه الله تعالى عن عائشة قالت: كان وساد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يتكىء عليه من أَدَمٍ حَشْوه ليف. انتهى.

وذكر ابن حيان الأصبهاني (١٦٢) حديث عمر رضي الله تعالى عنه المذكور في باب الإذن، وفيه: فاستأْذن لي فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير قد أثر في جنبه، وإذا تحت رأسه مِرْفَقَةٌ من أدم حشوها ليف.

فوائد لغوية في ثلاث مسائل:

الأولى: قال أبو الفرج الجوزي رحمه الله تعالى في كتاب «كشف مشكل الصحيحين» حين تكلم على حديث أنس رضي الله تعالى عنه: الظاهر في الاتكاء الاعتماد على أحد المرفقين، وقال أبو سليمان: لا نعرف المتكىء إلا من مال في قعوده معتمداً على أحد جانبيه، وكل من استوى قاعداً على وطاء فهو متكىء.

الثانية: قال في «الصحاح» (٤: ١٤٨٢) المِرْفق والمَرْفِق: مَوْصِلُ الذِّرَاع بالعضد.

الثالثة: المِرْفَقَة بالكسر: المِخَدَّة، وقد تمرفقَ: إذا أَخَذَ مِرْفَقَةً، وبات مُرْتَفِقاً أي متكئاً على مِرْفق يده.

الفصل الثالث
في إدناء النبـي صلى الله عليه وسلم الوسادَ للداخل
وفي اتخاذ الخلفاء رضي الله تعالى عنهم الوسادَ واتكائهم عليه

في كتاب «أَخلاق النبـي صلى الله عليه وسلم» (٢٤٧) لابن حيان الأَصبهاني: دخل سلمان على عمر وهو مُتكىءٌ فألقاها له، فقال له سلمان: الله أكبر صدق الله ورسوله، فقال عمر: حدثنـا يا أَبا عبدالله، فقال سلمان: دخلتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متكىءٌ على وسـادة، فأَدناها إِلـيَّ ثم قال: يا سلمان ما مِنْ مسلمٍ دخل على أَخيه المسلم فيلقي إليه بالوسادة إِكراماً له إِلا غفر الله له[1].

تنبيـه:

يأْتي نسب عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه وأَخباره في باب الطهور من هذا الكتاب، إن شاء الله تعالى.

---

(١) جاء في المصادر أيضاً أن الرسول ألقى وسادة لعدي بن حاتم وقال اجلس عليها، مما يدل على أن الوسادة فراش لا مخدة (التراتيب الإدارية ١: ٣٣).

الباب السابع

في ذكر صاحب النعلين[1]

في «الاستيعاب» (٩٨٨) عند ذكر عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه كان يلج على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلبسه نعليه.

وفي «مختصر السير» لابن جماعة، رحمه الله تعالى: كان عبدالله بن مسعود صاحبَ نعلي رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام ألبسه إياهما، وإذا جلس جعلهما في ذراعه حتى يقوم.

وروى الترمذي رحمه الله تعالى في كتابه «الجامع» (٥: ٣٣٨): عن خَيْثَمة بن أبي سبرة[2] رحمه الله تعالى قال: أتيت المدينةَ فسألت الله أنْ ييسرَ لي جليساً صالحاً، فيسر لي أبا هريرة رضي الله تعالى عنه، فجلست إليه فقلت له: إني سألت الله أن ييسر لي جليساً صالحاً فوقَعْتَ لي، فقال لي: ممن أنت؟ قلت من أهل الكوفة جئت[3] ألتمسُ الخير وأطلبه، قال: أليس فيكم سعد بن مالك مجاب الدعوة، وابنُ مسعود صاحبُ طَهور رسول الله صلى الله عليه وسلم ونعليه، وحذيفة صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعمار الذي أجاره الله من الشيطان على لسان نبيه، وسلمان صاحب الكتابين؟

قال قتادة: والكتابان[4]: الإنجيل والقرآن[5].

---

(١) قارن هذا الفصل بما أورده الكتاني في التراتيب ١: ٣٥ ففيه تفصيلات مفيدة.

(٢) ط: سمرة.

(٣) م ط: جلست.

(٤) م ط: والكتابين.

(٥) م ط: والفرقان.

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب.

تنبيـــه:

يأْتي ذكر عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه وأَخباره في باب الطهور من هذا الكتاب، إن شاء الله تعالى.

فائدة لغوية:

في «المحكم» (٢: ١١٤): النَّعْلُ والنَّعْلَة: ما وقِيَتْ به القدم من الأَرض، مؤنثة، والجمع: نِعال، ونَعِلَ نعلاً، وتَنَعَّل وانتعل: لبس النعل، ونَعَلَ القومَ: وهبَ لهم النعال، وانْعَلُوا، وهم ناعلون: كثرت نِعالهم، ورجل ناعل وَمُنْعِل: ذو نعل.

وفي «الصحاح» (٥: ١٨٣١) وتصغيرها: نُعَيْلَة.